الضياء
بهرا

تحية للذكرى ٣٩٦ لإنطلاقة الخط السرياني المطبعي

بدران أمرايا

اللغة السريانية لغة قديمة، حيث هي سليلة السومرية والاكدية والبابلية والآشورية الكلدانية الآرامية.. لغة تربعت على عرش الحكم لأكثر من الفي سنة في الشرق القديم، ومن خلالها سطع نجم العلم والمعرفة والثقافة والفنون، وكانت جسرا ممتدا بين الحضارة الاغريقية والعربية.. حيث ترجم الكتاب السريان كنوز الحضارة اليونانية الى السريانية ومن ثم الى العربية يجازى صاحب كل كتاب مترجم وزنه ذهبا خلال العصر العباسي، وهكذا كانت السريانية لغة الثقافة والفنون والتداول دون منازع وخطوطها الثلاثة "الاسطرنجيلي" من أسطر الإنجيل و"الشرقي" و"الغربي" وكانت الكتابة تخط بالريشة والقصبة ووفق اداء فني عالي المهارة ومميز وجميل وذو رشاقة واضحة المعالم والتراكيب. وقد ظهر خطاطون مبدعون في مجال الخط السرياني وباقلامه الثلاثة بحيث شهرتهم طبقت الآفاق وكان دافعهم ومحفزهم الوحيد هو عمق ايمانهم بامتهم وتاريخها المجيد الحافل بالقيم والمعاني النبيلة ولغتها العريقة.

والخط السرياني من الخطوط الجميلة حيث يمتاز برؤوس ونتوءات بارزة وسيقان واقواس وخطوط افقية ورأسية وهو قابل للتفنن وفق كل الاذواق.. ووجود ثلاثة انواع من الخطوط هي ان دلت على شيء انما تدل على شمولية اللغة وتوسيع آفاقها ومرورها بمراحل واطوار فنية وابداعية، وهي امتداد للخط المسماري ورموزه الكثيرة وقد اختزلت عبر تاريخها الممتد لاكثر من سبعة الاف سنة الى ان وصلتنا بابجدية ذات اثني وعشرين حرفا وبثلاثة خطوط مستنبطة كل منها من هيئة شكل او موقف معين، على عكس امم كثيرة لا تملك الابجدية او الرموز الخطية الذاتية الخاصة بها.. فنجدها تستعين بالخط او الحروف العربية او اللاتينية.

والخط الاسطرنجيلي هو النمط الذي خطت به آلاف الالواح والرقيمات الطينية الحضارية والتاريخية كحكمة احيقار الحكيم التي تعود لـ (٧٠٤ - ٦٨١ ق.م) ناهيك عن العديد من اسفار الكتاب المقدس وبه زينت اقواس ومذابح وجدران الكنائس والمقابر وبطون الكتب وغيرها من السطوح والاماكن، وكانت الكتابة تتم بالانامل والمداد. والى جانب كون الخط السرياني الاساس في استنباط الكثير من الخطوط الاخرى ومنها الخط الكوفي الذي حرف واشتق من الاسطرنجيلي بعد ان اضيفت عليه لمسات فنية بارعة الجمال، وكانت مدينة الحيرة (حيرتا) من المدن التي اولت الخط الاهتمام اللائق بمكانته المميزة.. واستخدم الخط السرياني الآرامي فيها اسوة بصنواتها الاخريات من المدن في كافة شؤون الحياة. كما اشتق الخط النبطي المتأخر والخطوط العربية الأخرى منه في منتصف القرن الثالث الميلادي ونهاية القرن السادس حيث تحول الخط من صورته النبطية السريانية الى صورته العربية المتداوله حتى يومنا هذا، وظل الكتاب السريان يسعفون الكتابة بخطاطين مهرة.

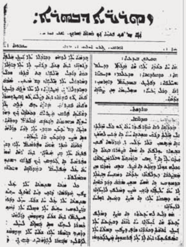

ومن اللافت للنظر ارتباط قصة دخول المطابع الى الوطن العربي بالخط السرياني.. ففي عام ١٦١٠ ميلادية دخلت اول مطبعة الى دولة لبنان والتي اهداها امير توسكانيا الالمانية الى الامير اللبناني (فخر الدين المعني) وكانت حروفها بالسريانية، وارسل معها مهندسين وفنيين لنصبها في دير (مار قزحيا) وباشرت بطباعة الكتب الدينية بالحروف السريانية التي تلفظ بالعربية (الكرشوني)، وبقيت هذه المطبعة الوحيدة في لبنان حتى عام ١٧٣٣ عندما تأسست (مطبعة زاخر) ومطبعة القديس جاروس عام ١٧٥٠، وبهذا تكون الحروف السريانية أول حروف مطبعية دخلت العالم العربي.. وبعدها بسنين طويلة دخلت الحروف المطبعية العربية للوطن العربي. وتعد هذه الذكرى مفخرة للغة السريانية وللأمة الكلدوآشورية.

وبعد سنين عجاف من افول نجم هذه اللغة الساطع وانحصار دورها في طقوس الاديرة والكنائس وبطون الكتب لدى بعض الغيارى من المناضلين ورجال الدين وفقد ابناء هذه الأمة الأمل باستنهاضها وبث الروح في ثنايا خلاياها ونفض الغبار من على جمر حروفها القانية وبعث الحياة فيها.. ولد من رحم معاناة هذه الأمة عام ١٩٧٩ وليد ملؤه الغيرة واشراقة امل، وقلب واقع الأمة رأسا على عقب وزرع الأمل مكان الياس والروح في الجسد الميت وحول الارض اليابسة القاحلة الى مرج اخضر متدفق بعناصر الحياة تنبعث منه رائحة اكسير الحياة الكريمة.. انها الحركة الديمقراطية الآشورية (زوعا) رمز وجود امتنا والحارس الأمين عليها. وفي النضال من اجل استحصال حقوقها والتي كانت وراء استحصال قرار حق التعليم باللغة السريانية لأبناء كلدوآشور عام ١٩٩٢ وتثبيت ذلك دستوريا في اقليم كردستان وبغداد ودعم هذا المشروع ماديا ومعنويا، الى ان وصلت الدراسة فيه الى نهاية المرحلة الجامعية.. الى جانب فتح قسم خاص بها في كلية اللغات بجامعة بغداد.

اثبتت هذه العملية للصديق قبل غيره بأنها لغة حية وتنبض بالحياة وتستوعب كل عناصر التغيير وقابلة للاشتقاق، وضربت مراهنات البعض عليها بالفشل عرض الحائط ممن تناسوا انها كانت لغة وادي الرافدين العريقة، لذا على الحكومة العراقية والكردستانية دعمها بكل عناصر القوة والديمومة كونها الإرث الحضاري الشامخ للعراق ومن خلالها فكت طلاسم الماضي.. وعلينا نحن أبناء هذه الأمة ان لا ندخر وسعا في دعم عملية التعليم السرياني وعدم التردد في ارسال فلذات اكبادنا للمدارس السريانية كونه حق طبيعي لكل أمة من ان تحافظ على لغتها وارثها الحضاري فضلا، عن ان اللغة هي البوتقة التي تجمع شمل ابناء أمتنا وتوحد صفهم وهي عنصر مهم في مقومات القومية وإقامة الكيان السياسي الخاص مستقبلا.

الثقافة السريانية.. والمديرية العامة

أكد مراد

قبل ايام صدر قرار استحداث المديرية العامة للثقافة السريانية في وزارة الثقافة، بعد ان كانت مديرية متواضعة بكل موجوداتها وامكاناتها بأسم (مديرية الثقافة الاشورية) ومن تأريخ افتتاحها في تموز ١٩٩٨ بقيت تنتقل في بيوت للايجار داخل عنكاوا ولا زالت.. ولها مجلة يتيمة بأسم (بانيبال) تصدر بشكل فصلي متخصصة بالثقافة السريانية، قسمها الأكبر بالسريانية والبقية بالعربية والكوردية.. المجلة رغم امكاناتها المتواضعة لها دور واضح في نشر مساهمات ابرز الكتاب من شعبنا (الكلداني السرياني الاشوري) من داخل الوطن وخارجه.

رغم ان حديثي في هذا المقال هو عن الخطوة الجديدة المباركة لوزارة الثقافة في اقليم كردستان حول تحويل مديرية الثقافة الى مديرية عامة وان جاءت متأخرة جدا.. لأن مثيلتها في وزارة التربية التى تأسست بعد قرار برلمان كردستان عام ١٩٩٢ (مديرية التعليم السرياني) وبعد عام ٢٠٠١ تحولت الى مديرية عامة للتعليم السرياني.. استطاعت وخلال فترة وجيزة تحقيق الكثير من الخطوات الناجحة، اذ اليوم تحظى بإهتمام الجميع ويكفي أنها أوصلت طلابها للمراحل الاخيرة في الاعدادية لينتقلوا للجامعة وبتفوق.. كما لا يحصى دورها ومن خلال العديد من اللجان العاملة منها ما قامت به في اعداد وترجمة أكثر من ٢١٧ كتاب علمي وتعليمي اضافة للمؤتمرات والحلقات الدراسية والنشاطات الاخرى.. قوة فعل هذه المديرية تكمن في أنها ولدت في فترة مناسبة وبطاقم متحمس من رحم الحاجات الفعلية لشعبنا لذا كان النجاح حليفها في جميع خطواتها.

وللعودة الى المديرية العامة الجديدة والمتخصصة بالثقافة السريانية نقول.. المعروف عند الجميع أن الغبن واضح وكبير للنشاط الثقافي السرياني والانتقالية كانت موجودة في دعم بعض حلقاته وكان الاهمال للباقي.. واليوم كان حلما ومطلبا كبيرا للمثقفين والكتاب والادباء ان تكون لنا مديرية عامة تهتم وتحتضن الامكانات الفاعلة والقابليات الثقافية من خلال توسيع شبكة عملها بمديريات في جميع مناطق تواجد شعبنا اضافة لأربيل، ويكون برنامجها واضحا من حيث الاهتمام بالتراث والثقافة والنشر من كتب ومجلات سريانية حيث الغياب امام هذه الثورة من الاصدارات في المنطقة واضح على انها ستشكل لونا ضمن تنوعنا الوطني الجميل وحاجة انتظرناها طويلا.

امام هذه النقاط المهمة نتساءل كيف ستكون استعدادات الوزارة لتأسيس هذه المديرية؟ ومن سيكون الشخص المناسب للموقع الاول فيها؟ والمسؤوليات الاخرى كيف ستتم وعلى أي اسس ستكون الاختيارات؟؟ لأن العبرة ليست في التأسيس بل في كيفية تسييرها وبنجاح.. الأسس التقليدية قد تكون الشهادة الاولوية، وان كانت مهمة ولكنها يجب ان لا تكون العائق امام ما يخدم المصلحة العامة لثقافة شعب شبع الظلم والضيم.. كذا بعض الاعتبارات الاخرى التي لا نتمناها ان تكون آكلة للجوهر الحقيقي لوجود المديرية ومهامها الاساسية.

نتأمل من الجهات المسؤولة إنتقاء الأسلوب الذى يخدم المصلحة العامة لشعبنا وأن تتحلى العملية بالشفافية الكاملة لينال المثقف السرياني مبتغاه من التطور المرغوب هذا.

وطبعا يعرف الجميع حساسية هذه الشريحة عندما لا ترتاح لما يحصل في اجوائها.. لذلك فعدم التعجيل في إتخاذ القرار وفي التأني والمراجعة وأخذ الأراء قد تقربنا من إختيار لشخص المناسب، ولا يخفى على الجميع ما عاناه شعبنا في الماضي من ظلم واضطهاد وتراكمات ذلك الواقع المرير الذي لا زلنا نعانيه.

ما نود التأكيد عليه ان تجربة اقليم كردستان وفي كثير من خطواتها لقيت النجاح امام العالم، ولازال اعجاب الكثيرين بما تحقق كبير.. لذا لنواصل طريق النجاح فيما نختار في مثل هكذا مجالات، خاصة ما يخص القوميات الصغيرة وتأثيرها الذي يمتد الى كل مكان يتواجد فيه شعبنا.. ولنبعد النفوس الضعيفة واصحاب المنافع الشخصية ان وجدت، والتي تحاول التسلق ضمن حسابات ضعيفة.. ولنعمل لإختيار ما يسعد المثقف السرياني لرفد تجربتنا بالمزيد من العطاء والخير.. وهذا ما نتمناه من الخيرين.

السريان وأثرهم في نشأة الثقافة العربية- الإسلامية

فؤاد يوسف قزانجي*

ان التحولات الاجتماعية والعلاقات الانسانية التي سادت في القرون الميلادية السبعة الاولى، تبدو عميقة الجذور في المجتمع المدني في بلاد الرافدين الذي كان مؤلفا من أقوام آرامية وبابلية وآشورية وعربية، وعندما اهتدى بعض الناس من العراق الى المسيحية في نهاية القرن الميلادي الاول على يد احد تلاميذ السيد المسيح السبعين، بدأت المسيحية تنتشر في مدن كشكر وسلوقية وطيسفون واربيل وغيرها وساعد على ذلك انتشار المسيحية ايضا لدى بعض قبائل حمير في اليمن وارتحال الكثير منهم بسبب الظروف المناخية الصعبة لانخرام سد مأرب في القرن الثالث للميلاد حيث هاجرت الكثير من القبائل العربية من ال تغلب وال تنوخ من العباد وشيبان واسد وغيرهم الى جنوب العراق والى اطراف الصحراء السورية حيث كونوا بعد ذلك امارتين أو مملكتين الاولى في الحيرة باسم المناذرة من آل لخم والثانية باسم الغساسنة في اطراف سوريا الشرقية شمالا وجنوبا من بصرى جنوبا حتى رصافا شمالا وذلك في القرن الرابع الميلادي، اما المناذرة فقد حالفوا الفرس وحكموا تحت نفوذهم واصبحوا سادة العرب وامتد نفوذهم الى الجزيرة العربية وميشان "الاهواز" والبحرين وقطر وغيرها، وسكن المسيحيون وخصوصا اولئك الهاربون من اليمن بسبب اضطهادهم من قبل أحد أمراء حمير الذي اصبح يهوديا في مدن كشكر "واسط" وبلدة ديرقني "العزيزية" وذلك في بداية القرن السادس الميلادي.

كان مركز اشعاع المسيحية ولأربعة قرون مدينة انطاكيا عاصمة الرومان في المشرق حتى عام ٣١٣م حينما بدأ الامبراطور قسطنطين، بعد اهتدائه الى المسيحية يفكر في اقامة عاصمة جديدة بعيدا عن المعابد الوثنية المنتشرة في انطاكيا فبنى غير بعيد عنها مدينة القسطنطينية. وكانت المسيحية موحدة حتى بداية القرن الخامس الميلادي في جميع انحاء الهلال الخصيب وايران وعلى الرغم من ان المسيحية كانت ضعيفة القوى وصغيرة الحجم وكانت تضم اكبر عدد من الفقراء وكان مركز المسيحية في العراق في مدينة سلوقية- طيسفون وكان أساقفة فرات- ميشان "البصرة" وكشكر والحيرة واربيل تابعين للجاثليق في تلك المدينة.

وبدأ في القرن الرابع للميلاد انتشار المدارس الاولية في معظم المدن في بلاد ما بين النهرين بالاضافة الى نصيبين والاهواز اللتين كانتا جزءا من مجتمع بلاد الرافدين. وكانت مدرسة جنديسابور العليا تدرّس الطب والرياضيات باللغتين الفارسية والسريانية بينما كانت مدرسة نصيبين تدرس الدين والفلسفة والفلك. وقد توسعت مدرسة جنديسابور لتشمل في القرن السادس بيما رستان لعلها اول بيما رستان في الشرق الادنى الوسيط.

وكانت مدرسة جنديسابور منذ القرن السادس تدار من قبل علماء واطباء سريان. وكانت مدرسة جنديسابور ومدرسة انطاكيا مؤلا للثقافة والعلوم السريانية والطب السرياني والمتمثل بالاستفادة من الطب اليوناني النظري اضافة الى التجارب والمعالجة الميدانية وسنجد ان معظم الاطباء في بلاطات الخلفاء وفي بيت الحكمة كانوا من اطباء السريان بالاضافة الى عشرات المترجمين. وكانت اكاديمية بيت الحكمة تمثل قمة التلاقح العلمي والثقافي بين اقوام المنطقة العربية، كما كانت احدى الدعامات العلمية الراقية للحضارة العربية- الاسلامية التي وضحت سماتها في عهد المأمون ٨١٣-٨٣٣م.

والحقيقة ان الأمة السريانية التي ازدهرت ثقافتها وآدابها في القرنين السادس والسابع الميلاديين، قد جعلت من أبرز اتجاهاتها وآفاقها، ارتباطها بماضي البلاد وحضاراته وخاصة الحضارتين البابلية- الكلدانية والآشورية وكذلك الثقافة الآرامية وهي اصل السريانية ومنبع آدبها. وكانت هنالك قصصا شعبية وحكايات تاريخية انتقلت بعد ذلك الى القصص الديني الاسلامي مثل قصة نبوخذنصر وما فعله باليهود وقصة حياة سميراميس والملك نمرود واسكندر الاكبر ذو القرنين ويأجوج ومأجوج، وقصة السبعة مؤمنين الذين بقوا في الكهف ورواية الأخدود التي جرى فيها حرق المسيحيين في نجران في الأعوام ٥١٢-٥٢٢م. أما حياة السيد المسيح وأقواله المقدسة وحياة مريم العذراء وولادتها العجائبية فقد سجلت بروعة على شكل ومضات في التراث الاسلامي.

وهناك عدد من التعابير السريانية انتقلت الى اللغة العربية من بينها كلمة كتاب المأخوذة من الكتاب المقدس الذي كان يتردد على ألسنة المسيحيين الذين كانت تلقاهم القوافل المنطلقة من مكة والتي كانت تجلب اليها تجارة دمشق من الالبسة والانسجة المختلفة وكذلك كلمات مثل الفرقان، واية، ونور، وكاهن، وسجود، والعلم، وسفر، وصلاح اضافة الى تعابير مثل بيعة وكنيسة وشماس وعماد أو عماذ وقبس وناقوس وطقس واسقف وابرشية وزنار وغيرها. ومن الجدير بالذكر انه في مفتتح القرن السابع كان يتناثر في سهول العراق وهضابه وجباله اكثر من مائتي دير واكثر من اربعين كنيسة بالاضافة الى ٣٠ مدرسة أولية منتشرة خاصة في مدن طيسفون "المدائن" وسلوقية واربيل وكرخ بيت سلوخ "كركوك" وكشكر "واسط" والحيرة. وكانت مدرسة الحيرة قد بدأت تعلم العربية والخط الحيري في منتصف القرن السادس للميلاد، وكان قد تعلم بها العربية الشاعر المرقش الاكبر المتوفي سنة ٥٥٢م، اضافة الى نشأة خط آخر سينضج فيما بعد بالكوفة متأثرا بالمربعات والأشكال المستقيمة لحروف الخط السرياني دُعي بالخط الكوفي. كما كان بلاط الملك النعمان ملك العرب مؤلا للشعر الجاهلي في الجزيرة العربية والعراق وكان يجتمع فيه علية القوم من القبائل العربية وشعراء أمثال النابغة الذبياني والاخطل وعدي حاتم الطائي والنابغة الجعدي الذين كانوا معظمهم من النصارى أو من الموحدين بتأثير انتشار المسيحية. كما قدمت مدرسة الحيرة للبناء المعروفة ببناء القبب العالية والقناء الواسع المتأثر بالفن الآشوري والبابلي، قد قدمت نماذج رائعة لم يجر الكشف عنها بعد حتى الآن بالرغم من ان المؤرخين سجلوها بدقة وهي العمارة الحيرية ويشهد عليها وجود سبعة عشر قصرا منيفا في الحيرة وحدها وستة كنائس وعدد لا يقل عن عشرة أديرة واهمها دير هند الكبرى أخت النعمان الأخير التي رفضت الزواج بملك الفرس كما رفضت الزواج بالقائد الذي طلب ان يتزوجها بعد ان فتح الحيرة ولعله خالد بن الوليد.

أما اللغة السريانية فقد ترشحت من اللغة الآرامية، وتعتبر لغة عامة الناس من ذوي الأصل الآرامي، وسميت سريانية لأنها نشأت في سورية، ولذلك سمي المسيحيون كلهم في المشرق سريان لانهم أرادوا ان يختلفوا في بداية المسيحية عن الآراميين الوثنيين. نمت الثقافة والعلوم السريانية منذ القرن الثالث بفضل المدارس العليا في انطاكيا ونصيبين والرها وجنديسابور، اما الفلسفة فقد تطورت في بلدة ديرقني التي وصلت الى قمة ازدهارها في القرن السابع الميلادي وكان من أساتذتها ابوبشر، متى بن يونس وابراهيم قويري وغيرهم.

كان المفكرون السريان من أطباء وعلماء معينا لا ينضب لتنامي وتطور الثقافة العربية- الاسلامية ونشوء المدارس واقامة البيمارستانات منذ العصر الأموي حتى اذا ما أنشأ بيت الحكمة العباسي عام "٨٠٠م/٢١٨هـ" كان هنالك العشرات من العلماء والأطباء السريان يشاركون بقية العلماء والمترجمين من المسلمين في ادارة وتطوير مكتبة ضخمة ومركزا لترجمة العلوم الكلاسيكية "اليونانية والفارسية" اضافة الى العلوم السريانية ودارا لنشر الكتب المخطوطة لتحفظ بعد ذلك في خزانة بيت الحكمة لفائدة الباحثين وطلاب العلم، ومن ثم مرصدا فلكيا أنشأ في الرصافة. واحصى الموثقون اكثر من ألف كتاب في العلوم المختلفة من نتاجات بيت الحكمة الفكرية. فقد ألف وترجم في الطب والأدوية يوحنا بن ماسويه زهاء "٤٧" كتابا وألف موسى كتبا في الآلات والميكانيكا، وكتب يحيى النحوي الرومي وترجم اكثر من ٢٨ كتابا في الطب والصيدلة وهو متخرج من مدرسة الاسكندرية، والف وترجم عبد الله بن جبرائيل من ال بختيشوع اكثر من خمسة عشر كتابا في الطب وطبائع الحيوان والالبان، وحنين بن اسحاق الذي الف وترجم اكثر من ثمانين كتابا في طب البدن وطب الاسنان والادوية والاخلاق والفلسفة، ويعقوب بن اسحق الكندي الذي سُمي بفيلسوف العرب لا بد ان تكون ثقافته الطبية والفلسفية قد غرفها من الكم الهائل الذي ترجمه السريان في عصر الرشيد والذي ألف عشرات الكتب في الفلسفة والمنطق. اما ابو الحسن ثابت بن قرة الحراني الصابي فقد ألف كتبا عدة لعلها أكثر من عشرة كتب وترجم مثلها في الطب والمنطق وعلوم الطبيعة والجغرافية. وألف ابو علي بن زرعة بن مرقس أحد المتقدمين في علم المنطق وعلوم الفلسفة بضعة كتب كما ترجم كتبا اخرى لأرسطو، وكان ابو بكر محمد بن زكريا الرازي الفارسي قد تعلم الطب في بغداد وكانت بغداد تعج بالأطباء السريان، وأصبح كتابه "الحاوي في الطب" من أشهر كتب الطب في أواخر العصر العباسي، وكثير من معلومات الكتاب معتمدة من مؤلفات سريانية.

يتضح لنا ان مفكري السريان والثقافة السريانية لعبوا دورا جليلا في القرون الوسطى على نطاق تاريخ الشرق الادنى وخصوصا منطقة الهلال الخصيب والخليج ومصر والاهواز وعلى الرغم من ان السريان في المشرق كانوا موزعين سياسيا بين بيزنطه وفارس وكانوا يلقون في فترات من الدولتين صنوفا من الاضطهاد، لكنهم انقسموا في أوائل القرن الخامس الميلادي، ومع ذلك فقد لعبوا من الناحيتين الثقافية والعلمية دور الحلقة الرابطة بين ثقافتين متناقضتين في ذلك العصر وهما الثقافة الفارسية والثقافة البيزنطية. وقد تنامى هذا الدور وتعاظم عندما حدث الاحتكاك المباشر الحضاري والديني بين المسيحية والاسلام، ولكن السريان رغم الاختلاف الديني استطاعوا ان يندمجوا مع المسلمين القادمين من الجزيرة العربية وذلك بسبب صلة السريان بجذور الشعب وحضاراته والذي كان يعيش في منطقة الهلال الخصيب بالاضافة الى ان بعضا من السريان في جنوب العراق وجنوب سوريا كانوا قد قدموا من اليمن، ولأن المسلمين من جهتهم كانوا منطقيين في التعامل مع أهل البلاد الأصليين الذين كانوا يشكلون بثقافتهم الفواصل الإدارية والمالية للبلاد المفتوحة، لذلك لم يشارك السريان في مقاتلة المسلمين بل كانوا يساعدونهم في امدادهم بالمؤن وخصوصا انهم دخلوا مدنهم الرئيسة بسلام واعطوهم عهدا مكتوبا كما حدث في مدينتي القدس والحيرة وغيرهما.

ولم يكن الاسلام منذ البداية غريبا عن المسيحية السريانية ذات الجذور السامية والتي ورثت ثقافات من بابل وآشور بل كانوا صنوا لها. ولم يكن هنالك خصومة بين المسيحية والاسلام فإن تكرار كلمة كتاب في القرآن الكريم تعد في نظر المسيحيين انعكاسا للكتاب المقدس الذي عرفه كثير من أبناء القبائل العربية قبيل الاسلام، بالاضافة الى ان القرآن الكريم أحاط السيد المسيح بهالة عظيمة من التقديس والاحترام وذكر انه روح الله وان مريم العذراء أمه ولدته بشكل عجائبي بعد ان بشرها الملك جبرائيل "جبريل" بولادة يسوع المسيح. كما يشير الاسلام في أدبياته الى ان المسيح سيعود في آخر الزمان لمحاسبة الناس على ما اقترفوه وإن أضافوا اليه من يأتي معه وهو أحد أحفاد الامام علي "رض" أي المهدي المنتظر.

ان تكريم مريم العذراء في القرآن الكريم يبلغ ذروته من العناية والاهتمام حيث يضفي عليها الاسلام احتراما وتقديسا متميزة باعتبارها احدى ثلاث نساء متميزات هن "خديجة وفاطمة ومريم". ومن خلال العمل المشترك في بناء مظاهر الحضارة الجديدة ادركوا ان حياتهم معا ضرورية لانهم يتقاسمون التراث الذي خلقته الحضارات العظيمة القديمة السومرية والاكدية والبابلية والآشورية والفينيقية والثقافات الكنعانية والآرامية. أما أبرز تأثيرات ومساهمات مفكري السريان في نمو وتطور الثقافة والحضارة العربية- الاسلامية، فنوضحها بايجاز كما يلي:

أولا: ساهمت المدارس العليا المنتشرة في الهلال الخصيب والاهواز وخصوصا مدارس جنديسابور وانطاكيا والرها ونصيبين التي ورثت العلم والطب والفلسفة عن مدرسة الاسكندرية ومن خلال اولئك الذين درّوا فيها، ساهمت في خلق عدد من العلماء والمفكرين والعاملين المثقفين الذين عملوا على تشغيل مفاصل الادارة والتنظيم المالي والقانوني في الدولة العربية- الاسلامية الجديدة في دمشق. وعملوا ايضا على ترجمة الدواوين من الفارسية الى العربية لان كثير من السريان كانوا يجيدون اللغتين العربية والفارسية.

ثانيا: اسهم العدد الكبير من الاطباء خريجي مدارس الاسكندرية وجنديسابور وانطاكيا في ايجاد قاعدة طبية وعلاجية كانت تفتقر اليها الدولة الاسلامية الجديدة كما ساعدوا على رفع المستوى الصحي للمجتمع وخصوصا الطبقة العليا.

ثالثا: أسهم الاطباء السريان مساهمة فعالة في انشاء اولى البيمارستانات سواء في دمشق أو بغداد او غيرهما من مختلف الاختصاصات الوقائية والعلاجية حيث عولجت لأول مرة الامراض المعدية كالجزام وغيرها.

رابعا: قام هذا الجمع من المفكرين والاطباء يعاونهم عدد من الفرس في خلق حركة تأليف عربية في مجالات طب البدن وطب العيون "الكحالة" والطب العلاجي وكذلك في الصيدلة وطب الاعشاب والنباتات، فكانت قاعدة علمية طبية وضعت اساسا للطب العربي.

خامسا: كان للمفكرين والاطباء من السريان الدور البارز اذا لم يكن الاساس في حركة الترجمة والتأليف والنشر في الدولة العباسية وخصوصا بعد قيام اكاديمية بيت الحكمة على غرار اكاديمية الاسكندرية في بغداد وذلك في عام "٨٠٠م/٢١٨هـ" تقريبا، وكان بيت الحكمة قد انشأ وتوسع في عهد الرشيد وتطور في عهد المأمون الى محفل علمي وثقافي متميز برّ فيه مدرسة الاسكندرية في الطب والفلسفة والمنطق ان لم يكن بمستواها في المناقشات المنطقية والفكرية التي جرت بفضل اخوان الصفا والمعتزلة تلك الفترة التي اعتبرت ذروة الثقافة العربية في القرن الرابع للهجري التي تمثلت وانتجت حضارة عربية- اسلامية متميزة.

* أستاذ جامعي.

Fouadkazanchi2005@yahoo.com